مدن ساحلية تاريخية صغرى

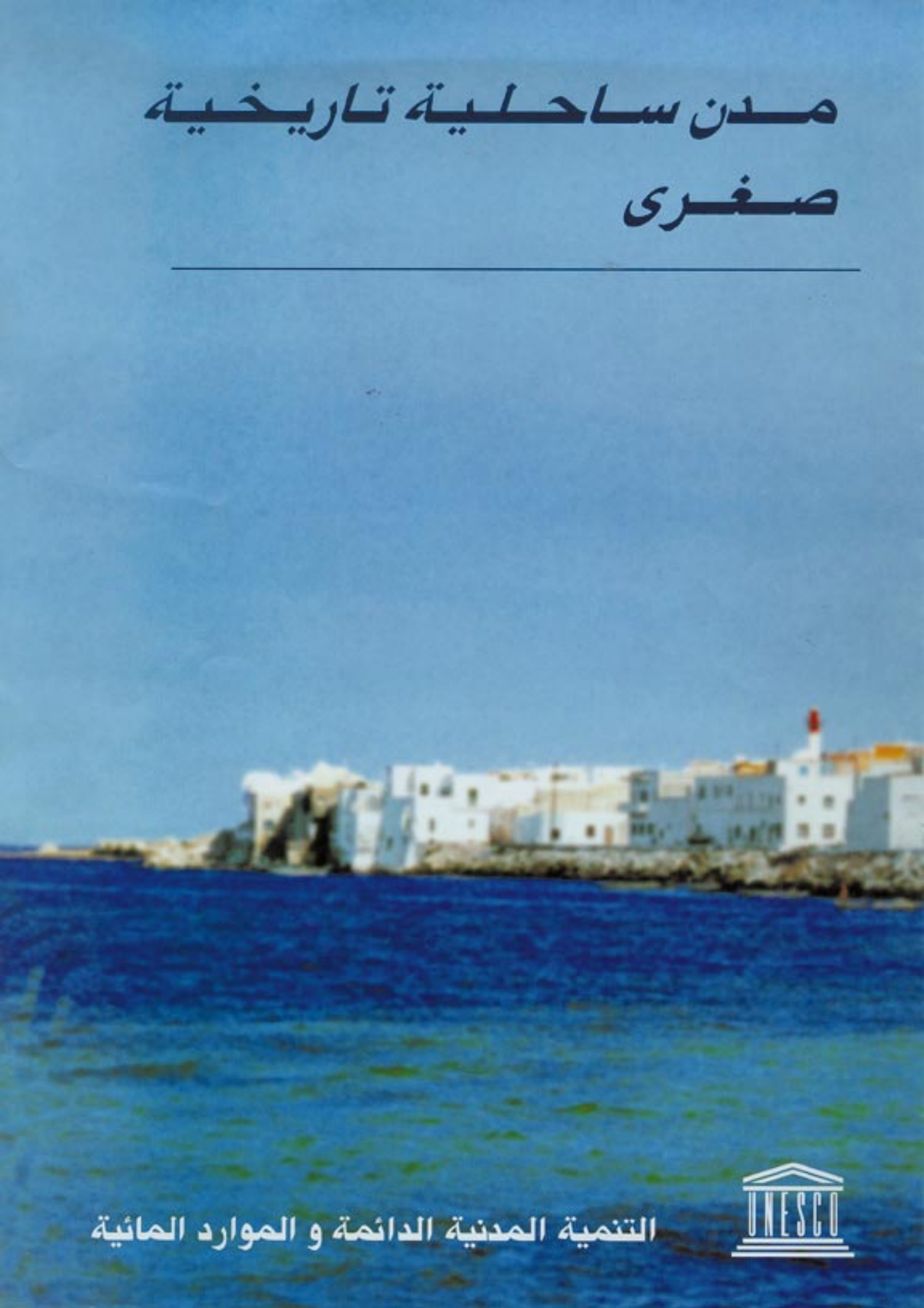

التنمية المدنية الدائمة و الموارد المائية

UNESCO

برنامج للمناطق الساحلية
والجزر الصغرى

لقد بعثت من طرف ***اليونسكو*** *حركة، بيقطاعية، لفائدة البيئة، والتنمية، في المناطق الساحلية، والجزر الصغرى وذلك استجابة لحاجة البلدان إلى ضمان تصرف مناسب في الممتلكات الساحلية. ولذلك قامت* ***اليونسكو*** *بالإشهار بغية إعداد ممارسات مضيئة، عبر برامج نمونجية.*

وإن المسائل ذات الصبغة التقنية والبيئية، التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار تشتمل من بين أشياء أخرى على: النقص في التنوع البيولوجي وتدهور المحيط ونفاد الموارد الطبيعية، وتأثير التصرف في هذه المسائل على العوامل الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، في الوسط الحضري الساحلي.

AG 2 i Communication - Photos : Dominique Malec/Serge Scinelli

المدن الساحلية الصغرى

مشروع جديد متظافر الاختصاصات

لقد بعثت اليونسكو في سنة 1996 شبكة للتعاون بين بعض المدن الصغرى الساحلية: المتوسطية والاوروبية المعروفة بأهميتها التاريخية والبيئية، ولقد جمعت اليونسكو اخصائيين من بينهم: علماء الإنسان وعلماء طبقات الأرض والمياه ومهندسين معماريين وخبراء في علوم البحر والعلوم الاجتماعية وكان غرض هؤلاء تبادل خبراتهم بهدف تفادي تدهور الاحياء الوسطى لهذه المدن الواقعة قبالة البحر والتحكم في هذا التدهور .

وان سوء التصرف في الموارد المائية إلى جانب تردي المحيط البحري يشتملان في الواقع على انعكاسات مباشرة على التطور الاقتصادي والاجتماعي للمدن الساحلية وعلى قدرتهم الفعلية على صيانة وحماية الصفة الاجتماعية الثقافية لوسط مدينتهم.

ولقد تعلقت أولى الدراسات لحالات مدينة الساورة: مغادور المغربية سابقا وبمدينة صيدة: سيدون القديمة بلبنان وأخيراً بالمهدية: العاصمة الاولى للعهد الفاطمي بالبلاد التونسية.

المهدية - مدينة نمونجية

تقع مدينة المهدية في شبه جزيرة تبعد 230 كلم عن جنوب تونس العاصمة. و إن موقعها الجغرافي وحصونها مكنوها من أن تلعب دوراً سياسياً واقتصادياً طلائعياً في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى نهاية القرن السادس عشر.

المهدية - أول عاصمة فاطمية

في فجر القرن العاشر اختفى الاغالبة من افريقية وأخلوا المكان للفاطميين يقودهم الإمام الشيعي عبيد الله، و قد بحث هذا الأخير عن المكان الاكثر ملائمة لتاسيس "مدينة مأوى" تكون بمثابة القاعدة لحملاته نحو الشرق.

و في سنة 1048 حدثت القطيعة مع مصر و أصبحت العاصمة الفاطمية احد موانئ التجارة الاكثر ازدهار كما شيدت البنايات في كامل شبه الجزيرة. و لكن بالإضافة إلى التجارة و الصيد البحري نمت القرصنة ضد السواحل المسيحية إلى حدود القرن الرابع عشر.

و خلال سنتي 1550 و 1551 استولت الجيوش الاسبانية لشارل كانت على المهدية ثم سطا فرسان مالطا على المهدية و أحرقوها في القرن السابع عشر. و زيادة على المواقع الاثرية لشبه الجزيرة فإن أهم المباني هي اليوم محمية مثل الجامع الكبير والحصون و المرفأ القديم و قصر القائم و البرج الكبير و المقبرة البونية و هي في عداد الشهادات العديدة على الحضارات المختلفة التي توالت على المهدية.

المهدية اليوم :

تعد المهدية اليوم حوالي 40 الف ساكن و قد لوحظت فيها ظواهر تعرية ساحلية كما أن عناية خاصة يجب أن تولى إلى المقاطع المهجورة و المواقع المهددة التي هي عرضة لكل أشكال المخاطر: (تلوث حقول المياه الجوفية وانجراف التربة الخ ...)

وإن المدينة معرضة إلى الاخطار الجسيمة للفياضانات الموسمية (أوت - سبتمبر) نظرا إلى تشكلها المرفولوجي المؤلف من تجاور أشرطة ساحلية وقيعان بحيرية - دون مناطق وسيطة - ضاعف من مناطق تركيز السيلان وركود المياه على طول الساحل الشاطئي (السبخة).
ثم إن اتساع المدينة في مستوى اتصال شبه الجزيرة بالقارة يقع في مناطق معرضة إلى الفيضان مثل منخفض زغانا.
وتشكو المدينة من حالات استعجالية بيئية متراكبة ترتبط بشدة بمشاكل السكان كالتضخم السكاني الموسمي. وتدهور البنايات في المناطق التاريخية ونقص التجهيزات الأساسية الملائمة وبالمقابل حافظت المدينة على قدرة على إبراز معالمها وخاصة منذ تفتحها على السياحة الاولية في سنة 1994. و

لئن مكن هذا التطور السياحي المدينة من انتعاش اقتصادي فإنه يمثل كذلك أحد الحظوظ الكبرى لمستقبلها الخاص.

وفضلا عن السياحة فإن الصيد البحري يمثل ركيزة النشاط الإقتصادي في المهدية وذلك بفضل حداثة تجهيزاته الميناية ومصانع المعلبات. كما تلقى صناعة الزرابي اليوم - بما هي نشاط ذو صبغة تقليدية - انطلاقة جيدة.

و إن النمو المدني الكامل في المهدية يظل مرتبطا باعادة التوازن لكل العوامل البيئية و الاقتصادية والثقافية و الاجتماعية التي تفسر الجاذبية التي تحظى بها هذه المدينة سواء على المستوى الوطني أو الدولي.

نطاقات التدخل ذات الأولوية لوزارة البيئة و التهيئة الترابية وللبلدية ولليونسكو

* اعتناء خاص بتطور للمهدية يحترم المحيط الاجتماعي والثقافي والطبيعي للمدينة ويجنبها ثقافة اقتصادية موحدة مركزة على السياحة .
* وضع مخطط لصيانة المهدية يهدف إلى تخليد جمالها المعماري والثقافي ويحافظ على دورها الاجتماعي كقلب باعث للحياة في المركز السكني للمهدية.
* وضع مشاريع لتكثيف المدينة تدمج المعمار التقليدي المتحدر من المواقع الثقافية والظروف الاجتماعية والمناخية.

الاعمال ذات الأولوية

* اختيار دولي لحماية الكثيب الجانبي وابراز قيمة الساحل (شمال المهدية وراس إفريقيا) والتعرف على الحلول الدائمة لامتصاص الاضرار المتعلقة بالمقاطع المهجورة وإعادة استعمالها.
* التعاون الفني للبدء في إنجاز مشروع إصلاح سبخة بن زيادة الموضوع من طرف الحكومة التونسية (وزارة البيئة والتهيئة الترابية) .
* الإعانة على إعداد مخطط لحماية وإعادة استعمال النسيج الحضري للمدينة في إطار المخطط المديري لتهيئة المركز السكني للمهدية المعد من طرف نفس الوزارة.
* بعث انشطة بيقطاعية بين السياحة وعوامل التقدم الاجتماعي والاقتصادي الاخرى.
* تنظيم ملتقيات وتربصات تسعى إلى بعث الكفاءات بين المسؤولين البلديين والجهويين للمهدية وبعض أخصائي مدن مشروع **اليونسكو** إلى جانب تبادل الخبرات على المستوى المتوسطي.

وإن دراسة هذه الحالة تتيح لنا تبين عدد كبير من المشاكل المشتركة بين الكثير من المدن القديمة الأخرى بالمتوسط إلا أن تفسر هذه المشاكل يقتضي كفاءات متداخلة الاختصاصات ومن المفروض أن تمكننا الخبرة المكتسبة في المهدية من تحسين فهم مختلف الإشكاليات الموجودة ومساعدة مدن ساحلية أخرى.

كيف نعد مستقبل المدن الساحلية؟

كيف ستكون مدن القرن الحادي والعشرين؟ إن مجرد التنبأ بالمستقبل لا يكفي لتكون لنا فكرة عن ذلك بل يجب أن نهيأ هذا المستقبل. إذ لم يعد الأمر متعلقا فحسب بإرساء سياسة تصدين بالمعنى التقليدي وإنما بتحديد وانجاح سياسات إجمالية للتنمية. وإن مستقبل المدن يستوجب صيانة الهوية الذاتية لكل واحدة منها إذ ان تراثها المدني يجب أن يكون نقطة انطلاق إنشاء السياسات المدنية.

وإن التهيئة الترابية والتخطيط يبدان بأعمال على المستوى المحلي والوطني وخصوصا فيما يتعلق بحماية التراث التاريخي والفضاءات الطبيعية وفيما يتعلق أيضا باستعمال العقارات والتصرف في الموارد الطبيعية وتعيين موضع التجهيزات الأساسية وكذلك فيما يتعلق بالسياسات التي يساهم فيها كل المتدخلين في البلاد.

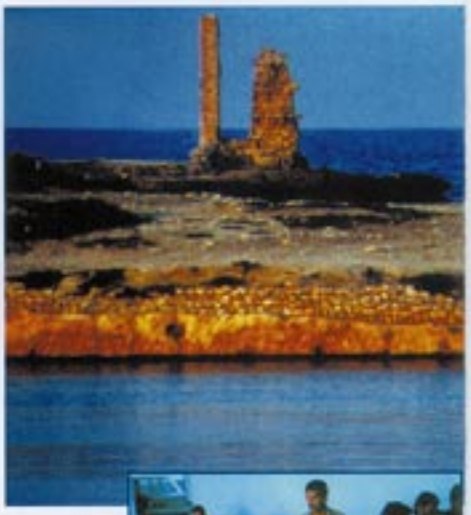

تدهور السواحل: تشخيصات

إن التعرية الساحلية بما هي أمر شائع لايحظى بالعناية الكافية غالبا هي الظاهرة الأكثر بداهة للمبالغة في استغلال الأرض وإن التلوث الساحلي والنمو المدني المكثف إذا ما انضاف إلى التعرية يؤدي سنويا إلى إتلاف كلومترين إضافيين من الساحل في المنطقة المتوسطية. كما يلحق الانجراف الساحلي أضرارا هامة بالتراث المعماري المدني الأثري.

وإن الاستغلال المكثف لمراكز المياه في المناطق الساحلية يتفاقم شيئا فشيئا ثم إن انخفاض مستوى الطبقة الجوفية والنقص في ضغط الماء ونضوب المناطق الندية والنقص في طاقة الضخ وتدخل المياه المالحة في الطبقات المائية وهبوط سطح الأرض في مستوى مراكز المياه المستغلة بكثافة.

كل هذه العوامل هي ناتجة عن نزوح الأهالي الريفيين نحو المناطق الساحلية.

أعمال اليونسكو على المستوى الجهوي

* إرساء برنامج تعاون مشترك وتبادل الخبرات فيما بين المدن الساحلية الصغرى للجنوب المتوسطي ولأوروبا وذلك بفضل شراكة تقنية.
* الإشهار لفائدة تمرير المعلومات التقنية والتجارب والبحث عن مساهمات مالية ضمن التعاون المحلي والجهوي والوطني والدولي.
* استخدام لغة مشتركة بين مختلف مجموعات الخبراء والساهرين على تطور المدن في المناطق الساحلية وتحسيس الأهالي المعنيين بالأمر
* تكوين محترفين شبان في ميادين التصرف في الموارد الطبيعية والعمران والتطور الاجتماعي والاقتصادي وإعادة تنشيط واستعمال التراث المدني والتصرف في الساحل.

وزارة البيئة والتهنية الترابية بتونس
بلدية المهدية
التصرف في التغييرات الاجتماعية (MOST)
مكتب اليونسكو بتونس
البرنامج الدولي الخاص بالمياه (PHI)
مركز التراث العالمي (WHC)
برنامج للمناطق الساحلية والجزر الصغرى (CSI)

UNESCO
1, rue Miollis, 75732 Paris Cedex 15, France
fax : (33-1) 45 68 58 08
courrier électronique : csi@unesco.org
site web : http://www.unesco.org/csi/dure.htm

Bureau de l'UNESCO à Tunis,
12, rue de Rhodes, BP 363,
1002 Tunis, Tunisie
fax : (216-1)791588
courrier électronique : tunis@unesco.org